

ذو النون الشهاب كما عرفته

بقلم مثري العاني

عندما كنت انتقل من قراءة نشرة جدارية إلى أخرى وهي معلقة على جدران مدرستي متوسطة الحدباء للبنين قرأت في نشرة لجنة اللغة العربية قصيدة شعرية للشاعر ذو النون الشهاب ولم أكن أعرف عنه شيئاً فذهبت إلى مدرس اللغة العربية يوسف أمين قصير (رحمه الله) وسألته عنه فأوضح لي أنه شاعر معروف ومدرس للغة العربية في متوسطة المثني للبنين وأنه صحفي وهو معروف في الأوساط الأدبية والصحفية في الموصل وله إسهامات واضحة في مجال الصحافة فضلاً عن كونه شاعراً معروفاً.

كنت في بدايات حياتي وأنا طالب متوسطة أحاول الإطلاع والقراءة على قدر معرفتي وقدرتي وبتشجيع من مدرسي اللغة العربية في مدرستي حيث تم تحفيزي ودفعي لارتداد شارع النجفي في الموصل والإطلاع على المكتبات المنتشرة فيه إضافة إلى الجرائد اليومية ومتابعة ما يصل من كتب وجرائد ومجلات عراقية وعربية التزمت بتوجيهاتهم وبدأت أرتاد شارع النجفي الذي كان يعج بحركة نشطة فهو مركز توزيع المجلات والجرائد وفيه أكثر المكتبات إضافة إلى وجود مقرات الصحف التي كانت تصدر في النصف الأول من القرن الماضي ولغاية تموز ١٩٥٨.

شاهدت رجلاً أسمر البشرة نحيف الجسم في إحدى المكتبات وهو ينتقي الجرائد اليومية والمجلات الجديدة الواصلة إلى المدينة فسألته عنه صاحب المكتبة فقال لي أنه (ذو النون الشهاب) لم أجرؤ على التحدث معه لعدم معرفتي به ولأن التحدث مع أي مدرس من مدرسينا بالذات خارج المدرسة ليس بالأمر المألوف فالمدرس كان يحظى بالاحترام والتقدير فكيف بالتحدث مع من لا معرفة لي به.

إضاءات موصلية - العدد (٣٧) / جمادي الثانية ١٤٣١ هـ / أيار ٢٠١٠ م

مرت الأيام والسنون وانشغلت بأمر كثيرة سياسية وغيرها لكن رغبة المطالعة والمتابعة الأدبية عندي لم تنقطع أبداً ولن تنقطع وكنت أتابع النشاط الأدبي وأثابر على ارتياد شارع النجفي.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ والعام الدراسي فيه أصبحت مسؤولاً عن إتحاد الطلبة في مدرستي مما وفر لي فرصة أوسع للتعرف على العديد من المدرسين في المدارس الثانوية الأخرى ومنها متوسطة المثني التي كان يدرس فيها ذو النون الشهاب حيث التقيته غير مرة وتحديث معه في أمور أدبية وغير أدبية وأخذت علاقتي معه تتوطد على مر الأيام إذ عملت بعدها كاتباً في نقابة المعلمين فرع الموصل وكما ذكرت أكثر من مرة.

وفي مقر النقابة كان ذو النون الشهاب يحضر يومياً حاملاً الجرائد اليومية والمجلات التي إختارها من شارع النجفي إذ لم يكن مقر النقابة بعيداً عن هذا الشارع.

كان يجلس مع زملائه من أعضاء النقابة وهم يتلهفون لمجيئه لمطالعة ما يحمله من جرائد وكتب ومجلات ويتحدث عن آخر إصدارات الكتب وأهمها وما تنشره الجرائد والمجلات من بحوث ومقالات وقصائد شهرية وما تثيره من مداخلات أدبية حول بعض شؤون الأدب في العراق وخارجه.

كان يشجعني دائماً على القراءة ويهديني بعض الكتب والجرائد وكنت أطالع ما ينشره من قصائد في الجرائد التي تفد من العاصمة أو التي كانت تصدر في الموصل.

كان لنقابة المعلمين مكتبة موجودة في نادي المعلمين الواقع في رأس الجادة وكانت مكتبة عامرة تحوي كتباً قيمةً ومجلدات مهمة.

طلب رئيس النقابة سعيد سليمان من ذو النون الشهاب القيام بعمل جرد للمكتبة وتسجيل موجوداتها من الكتب والمجلات والجرائد وعمل سجل لهذه الموجودات وطلب

مني أن أرافقه لإنجاز هذه المهمة وهكذا بدأنا نذهب يومياً إلى نادي المعلمين لإنجاز هذه المهمة فكان يحدثني عن الكتب الموجودة وأهميتها ومكانتها وما تم تحقيقه من مصادر في التراث العربي والإسلامي وأهمية هذا التحقيق ومن هو المحقق إضافة إلى تحدثه معي عن الكتب الأخرى واسم ومكانة المؤلف وبذلك تعرفت على أساطين الأدب العربي في مختلف مناحي الأدب من شعر وقصة ومسرح ورواية ودراسات نقدية أدبية وفنية وأهمية ذلك وتوسعت مداركي كثيراً وأخذت رغبتني بمتابعة إقتناء الكتب ومعرفة مؤلفيها ودور النشر التي تنشر هذه الكتب في بيروت وبغداد والقاهرة وغيرها من المدن العربية .

في نيسان عام ١٩٦٠ تم إعتقالي مع مجموعة من منتسبي النقابة وبقينا في المعتقل أكثر من أربعين يوماً كان يزورنا في بعض الأيام ذو النون الشهاب مصطحباً معه المجلات والجرائد اليومية.

بعد إطلاق سراحنا أرادت نقابة المعلمين أن تقدم عملاً مسرحياً فأختارت مسرحية (المفتش العام) للكاتب الروسي جوجول وكنت قد مثلت في هذه المسرحية الدور الرئيسي وقد عرضت هذه المسرحية في ٣٠/٤/١٩٥٩ وحازت إعجاب المشاهدين.

لهذه الأسباب طلب مني رئيس النقابة المشاركة مع الممثلين الذين تم اختيارهم لأداء أدوارها وكذلك طلب مني ذو النون الشهاب الحضور يومياً أثناء التدريبات للمساهمة في ذلك وتقديم العون والمشورة وكان يحضر معنا الرائد المسرحي والمربي يحيى قاف ويبيدي توجيهاته القيمة حول تعزيز العمل المسرحي وإنجاحه وكان يؤخذ بها، قدمت هذه المسرحية باحتفالات العيد الثاني للثورة عام ١٩٦٠ وقد حرصت النقابة على إنجاح العمل فدعمته مادياً بسخاء وقدمت كل الإمكانيات لإنجاحه، لقد شارك في تمثيل هذه المسرحية الشاعر محمود المحروق والقاص غانم الدباغ وآخرين وقام ذو النون الشهاب بدور الملحن

فيها ونجحت المسرحية نجاحاً باهراً وتم تقديم العرض على المسرح الذي تم إنشاؤه على حدائق نادي المعلمين

وكان من المؤمل أن تقوم النقابة باختيار مسرحيات أخرى لتقديمها الوضع السياسي المتردي في حينه حال دون ذلك.

في نهاية عام ١٩٦٠ اضطررت لمغادرة الموصل ملتجأً إلى بغداد بعد أن تعرضت إلى إعتداءات كثيرة كان آخرها محاولة إغتيالي وذلك عند مغادرتي مقر المعلمين عصراً وذلك في أحد أيام كانون أول ١٩٦٠.

عملت في بغداد حتى عام ١٩٦١ فكان يحضر في عطلة نصف السنة منذ بدايتها ذو النون الشهاب مع آخرين ويبقى فيها لحين بداية الدوام الرسمي وكان كعادته يحضر يومياً إلى المقهى الذي كنا نجلس فيه ومعه الجرائد اليومية والمجلات إضافة إلى ما نطلبه منه من كتب كان يوفرها لنا بكل طيب خاطر.

من المعروف أن ذو النون الشهاب مولع جداً بلعبة (الدومينو) فهي مجال تسلية المفضلة والتي لم تفارقه إلى آخر أيام حياته.

كان حضور ذو النون الشهاب إلى بغداد في العطلة يوفر لنا الجرائد والمجلات والكتب إضافة إلى توفيره الأخبار المحلية التي عايشها في الموصل والتي تكون خافية عنا ويجعلنا نعيش أجواء الموصل الشاحنة وغير المريحة في الستينات من القرن الماضي ، كما أنه يوفر لنا حضور الأفلام السينمائية التي كانت تعرض في سينمات بغداد حيث يطلعنا على أحداث هذه الأفلام وأماكن عرضها.

كان تواجد ذو النون الشهاب يحفزنا إلى الاجتماع واللقاء مع العديد من الأصدقاء والمحبين الذين غابوا عنا لظروفهم القاهرة والذين كانوا يحضرون إلى العاصمة لتبديل أجوائهم المشحونة والمضطربة فكانت أجواؤنا تمتلئ بالبهجة والفرح والأحاديث الشجية.

في أحد الأيام وكنت في شارع النجفي شاهدني ذو النون الشهاب فسعى ورحب بي وأستفسر عن وضعي وما أقوم به من أمور فأوضحت له صعوبة حياتي والمشقة التي أعانيها وما ألاقه من مصاعب مادية ومعاشية قاسية جداً والحالة النفسية التي أعيشها بسبب المراقبة المفروضة ضدي فطلب مني الحضور عصراً إلى كازينو النهرين للترويح عن النفس وتبديل الجو والتعرف على الوسط الثقافي والأدبي في هذه الكازينو التي كان يرتادها أكثر المثقفين في المدينة من مختلف صنوف الأدب.

حدثني مرة أن مجموعة من الشقاة حاولوا الإعتداء عليه بعد ٨ شباط ١٩٦٣ فأقتحموا داره وحاولوا الإستيلاء على بعض موجودات الدار دون أي مبرر وكان لهذا العمل صداه السيء في المدينة خاصة وان الشهاب إنسان مسالم ومتسامح ولا علاقة له بأي مجموعة أو حزب لا من قريب ولا من بعيد.

لا بد لي أن أشير إلى أن ذو النون الشهاب كان قد أهداني العدد الأول من مجلة المسرح المصرية والتي صدر العدد الأول منها في آذار ١٩٦٤ مع العديد من الجرائد والمجلات والكتب التي كنت أرغب بمطالعتها وإنه إستمر بجمع أعداد المجلة طيلة فترة إعتقالي عام ١٩٦٤ وأنه أهداني هذه الأعداد بعد إطلاق سراحي وهو فضل وجميل لا أنساه وسأبقى أذكره.

حضرت إلى كازينو النهرين وكما أوضحت وتعرفت على أبرز أدباء المدينة وفنانيتها وكان ذو النون الشهاب يحضر كعادته يومياً ومعه الجرائد والمجلات ثم تبدأ لعبة (الدومينو) المفضلة لديه، فكنا نقرأ هذه الجرائد والمجلات وهو يلعب الدومينو،

إضاءات موصلية - العدد (٣٧) / جمادي الثانية ١٤٣١ هـ / أيار ٢٠١٠ م

كانت تجري مداخلات ساخنة بين مختلف الأدباء الرواد في كازينو النهريين حول مجمل الحياة الأدبية في العراق بشكل عام والموصل بشكل خاص إلا أن ذو النون الشهاب كان لا يشارك بها ألا بشكل خفيف لأن لعبة الدومينو شغله الشاغل.

من الذين تعرفت عليهم في كازينو النهريين (وهم كثر) المبدع طلال حسن على مر الأيام أصبحت العلاقة بينهما فاتره بعض الشيء وأخذ ذو النون الشهاب يتحسس من الآراء التي يبديها طلال حسن ويعتبرها الشهاب غمزاً له ونتج عن ذلك عدم إعطاء أي مجلة أو جريدة أو كتاب لطلال حسن مما كان يحدو بطلال أن يطلب مني إستعارتها منه فالعلاقة بيننا متينة وقوية جداً وحسن الظن بيني وبين الشهاب لا يتزعزع بسهولة وكنت أقوم بالمهمة فأخذ المطلوب وأعطيه لطلال دون أن يشعر الشهاب بذلك لإنشغاله بلعبة الدومينو.

حاول الفنان المسرحي طه حسن العشبه الأنيق والرشيقي أن يدق بيننا إسفيناً فألمح للشهاب أن مجلاته وجرائده مبعثرة بأيدي من في الكازينو وأن طلال حسن يوزعها بمعرفتي إلا أنني سارعت لإصلاح الخلل غير البرئ موضحاً بأن لا علم لي بما يجري فاقتنع الشهاب بما أوضحته وأفشلت خطة طه العشبه.

كنت أتردد على داره بين فترة وأخرى خاصة وأن والدته أعلمتني أنها تعتبرني الأخ الثاني للشهاب مما دفعها لأن تطلب مني إقناعه بالعدول عن إضرابه عن الزواج فتحدثت معه بالأمر وأقنعتة بضرورة جعل والدته تفرح بزواجه خاصة وأنه وحيدها، وعليه فقد طلب مني أن أجد له الفتاة المناسبة لتكون زوجته وهكذا باشرت التحري فوجدت له الفتاة وعندما أعلمته بذلك طلب مني أن يشاهدها وهذا ما كان ، بعد أن شاهدها قال لي إنها فتاة صغيرة ولا تناسبه فهو يكبرها بحدود (٢٠) عاماً وهو يريد له زوجة تهتم به وبوالدته وإلا يكبرها كثيراً.

بعد عدة أيام أعلمني أن إحدى شقيقاته قد وجدت له الفتاة المطلوبة وأخذ يصف لي بيت أهلها واسم والدها فتعرفت عليهم فسعيت للالتقاء بشقيق الفتاة وكنت أعرفه وعرضت عليه الفكرة فأوضح لي أن شقيقته ترغب بإكمال دراستها الجامعية إذا تزوجت فأبلغته بالعرض فرفضه لأنه يريد له زوجة متفرغة للبيت لا يشغلها غيره.

بعدها أقترن بالسيدة الفاضلة زوجته الحالية وهي شقيقة المخرج المسرحي أديب القليه جي (الدكتور حالياً) وهو أحد أصدقائي الأعزاء ومن زملائي في المدرسة. ذو النون الشهاب يملك ذخيرة وخزينا كبيراً من المعرفة والإطلاع الأدبي فهو أستاذ متمكن للغة العربية وقد أطلق عليه القاص (أنور عبد العزيز) لقب (الحافظة الشعرية) وهو محق بذلك فقد كنا في كثير من الأحيان نتكلم عن قصيدة شعرية فنردد بيتاً ثم نلحقه بعجز لا علاقة له بالقصيدة مما يحدو به إلى تصحيح معلوماتنا فيقوم بقراءة القصيدة كاملة ويوضح لنا قائلها وعصره والحادثة التي قيلت القصيدة بموجبها ومن عصر الشاعر.

بعدها نحاول محاولة أخرى فيتحدث أحدنا عن قصيدة لشاعر يقول أنها من العصر الأموي مثلاً فيبادر الشهاب بتصحيح معلوماتنا عن القصيدة والشاعر فيوضح أنها لشاعر من العصر العباسي ليس الأموي ويبدأ بالتحدث عن الشاعر وعصره وبحضور من قيلت ومتى تم نشرها للمرة الأولى ومن حقق ديوانه وسنة الطبع ومكانته وغيرها من الأمور مما يجعلنا نسكت ولا نناقشه.

في أحد الأيام وكنا نلعب معه الدومينو إنحنى أحد الأشخاص وقبله من رأسه فنظر إليه الشهاب فوجده رجلاً أنيقاً ومحتشماً وتبدو على سيمائه الوقار فسأله عن اسمه فأوضح له الرجل ذلك وقال له أنه الآن مدير عام في إحدى الوزارات وأنه (أي الشهاب) كان أحد الذين درسوه وهو في المتوسطة وهو يعتز بذلك كثيراً وأخرج من جيبه كارت صغير وأعطاه

له وقال الرجل أنه على أتم الاستعداد لإنجاز أي معاملة أو تلبية أي طلب يطلبه منه دون تردد.

فرح الشهاب بما قام به الرجل فرحاً كثيراً وأثنى عليه وشكره على مشاعره ثم أخذ يتحدث معنا عن طلبته الذين لا ينسوه ويقابلوه دائماً بالإحسان والجميل وإبداء المشاعر الجياشه نحوه.

كتب عنه مرة الدكتور عمر الطالب موضوعاً نشره في جريدة الحداية وكان المقال مليئاً بالأخطاء ويفتقد للموضوعية كعادة عمر الطالب فيما يكتب، فبادرت إلى كتابة مقال آخر بعنوان (ذو النون الشهاب ثانية) صححت ما فيه من أخطاء ووضعت الأمور في نقابها الصحيح.

بعدها قرأت مذكرات يوسف الصائغ (إعترافات مالك بن الرب) فوجدته ناكراً لجميل أستاذه (الشهاب) ثم زميله بعد ذلك فقد تحدث عنه بما لا يليق بأستاذه وزميله ونشرت مقالاً عن هذه المذكرات بعنوان (المذكرات التافهة) للرد على الصائغ.

ثم نشر أكثر من مقال أو موضوع عن الشهاب تحدث فيه كاتبوها بأنصاف عنه منهم الدكتور إبراهيم خليل العلاف عندما تحدث عن الصحافة الموصلية وكذلك ما كتبه من موسوعة الموصل الحضارية التي أصدرتها جامعة الموصل.

طلبت من الشهاب مرات عدة أن يزودني بمسرحياته التي كتبها وقدمت في الموصل وآخرها (أبو تمام في موكب العلم) قدمت في مهرجان أبي تمام الشعري الذي أقيم في الموصل لكنه كان يعتذر ويماطل أحياناً كثيرة وعندما كنت ألح عليه فإنه كان يقول لي أنه غير معني بالتحدث عن نفسه وأعماله وسيترك ذلك للذين يكتبون عنه بعد رحيله.

بعدها طلبت منه أن يجمع ما نشره من قصائد وما كتب من مقالات وبحوث في مجلة الجزيرة الموصلية وغيرها وينشرها في كتاب أو يضمها ديوان شعر خاصة وأنه كان قد إختار لديوانه عنوان (المنتظر) لكن ذلك لم يتحقق.

بعد أن رزقه الله بولده البكر فقد أسماه(منتظر)وقال هذا ديواني فقد فرح بمجيئه فرحاً كبيراً جداً. نالت إحدى الطالبات درجة الماجستير عنه لكن رسالتها لم تكن بالمستوى المطلوب مع الأسف لظروف شرحتها بمقدمة رسالتها.

وكانت قد إتصلت بي وطلبت مني أن أمدّها بالمعلومات المتوفرة لدي عنه وقد فعلت ذلك دون أي تردد. عاش ذو النون الشهاب حياته الأخيرة بكثير من المتاعب فقد كان يشكو لي معاناته ومتاعبه وخاصة المادية فقد عمل في أواخر أيامه مصححاً لغوياً في جريدة الحدياء وكان يعاني كثيراً من تنقلاته ما بين بيته ومكان طبع الجريدة البعيد عن سكنه مما كان يحمله أعباء جسمية ومتاعب مادية لم يتمكن من التغلب عليها.

حاول بعض الأدباء أن يجدوا له مورد رزق غير راتبه المذكور فعرضوا قضيته على أحد المسؤولين في المحافظة إلا أن المسؤول لم يعر قضيته أي إهتمام مع الأسف.

قبل وفاته بعدة أيام إتقيته فوجدت ورماً واضحاً بركبته فاستفسرت عنه عن السبب فقال أنه بسبب الغدة وأخذ يبيث لي شكواه ومتاعبه مما أدمعت عينايا لوضعه غير المريح فقبلته وتمنيت له الشفاء العاجل والصحة الموفورة إلا أنني قرأت بعد أيام نعيه بلافتة معلقة في شارع النجفي فبكيته بحرارة وخسرت بوفاته أستاذاً فاضلاً ومربياً يستحق الاحترام وصديقاً لا يترك ولا يتخلى عن صديقه.

كان ذو النون الشهاب إنساناً متسامحاً طيب القلب حلو الحديث يسعى نحو الخير والمساعدة لم يتكلم بسوء أمامي عن أي إنسان مهما كان.

رحل ذو النون الشهاب عن عالمنا يوم ١٩٩٠/١١/٥ تاركاً تراثاً أدبياً وصحفياً لا يستهان به فهو أحد شعراء المدينة وأدباؤها وصحفيها ومربياً فاضلاً خدم التربية وربى أجيالاً لا حصر لها لفترة تزيد عن الثلاثين عاماً
أقترح ما يلي :-

- ١- قيام مديرية بلدية الموصل بإطلاق اسمه على الشارع الذي يقع داره فيه تكريماً له.
 - ٢- مبادرة جامعة الموصل لإطلاق اسمه على إحدى القاعات الدراسية في إحدى كلياتها الإنسانية.
 - ٣- إقامة ندوة حول مجمل حياته وأدبه وشعره من قبل إتحاد الكتاب والأدباء في المدينة.
 - ٤- أن تطلب نقابة الصحفيين من جميع الصحف والمجلات بالتحدث عنه وتكريمه في يوم الصحافة العراقية باعتباره بوصفه رائداً صحفياً وأضح العالم.
 - ٥- جمع القصائد الشعرية التي نشرها وأصدارها بديوان شعري مستقل بعنوان (المنتظر) وكما كان يتمنى في حياته وهي مهمة جميع الذين عملوا معه وطلبته أو الذين لهم معرفة بأعماله ونتاجاته الشعرية والمسرحية.
- ولا بد لي أن أشير إلى عشوري على ملحمة شعرية له مكتوبة بخط يده بعنوان (مملكة النحل) وإنني على إستعداد بوضعها تحت تصرف أي منظمة أو مؤسسة ترغب بجمع أعماله وسأعمل على نشرها قريباً إن شاء الله مع دراسة عنه.
- أتمنى أن يتم الاهتمام بهذا المبدع وبغيره ممن رحلوا أو من الذين هم على قيد الحياة تكريماً وتقديراً لدورهم ومكانتهم.